اليهودي الاوروبي هو أفضل واكثر قدرة على العمل من الانسان الفلسطيني الذي صورته على انه «متخلف». ومن جهة أخرى، فقد اعتبرت الحركة الصهيونية ان اليهود متفوقون على الامم الاخرى، استناداً الى ما جاء في الكتب المقدسة عندهم، على اعتبار انهم، أي اليهود، «شعب الله المختار» و «انا الرب الهكم الذي ميزكم عن الشعوب». وردّد ليو بنسكر، أحد مؤسسي الحركة الصهيونية، ان «الشخص الذي لا يقول ان الشعب اليهودي هو شعب الله المختار لا بد ان يكون أعمى»[٢].

ويبدو ان هناك احساساً داخلياً عند اليهود الصهيونيين بأنهم متفوقون على الآخرين، وينظرون الى الشعوب الاخرى نظرة احتقار وتمييز، مستغلين، بذلك، ما جاء في كتبهم المقدسة من أقاويل وقصص، مثل «يا معشر اليهود انكم انتم البشر؛ اما الشعوب الاخرى فليسوا من البشر في شيء؛ اذ ان نفوسهم آتية من روح بخسة؛ أما نفوس اليهود، فمصدرها روح الله المقدسة؛ الشعب اليهودي جدير بحياة الخلود، اما الشعوب الاخرى، فانهم اشبه شيء بالحمير». كما جاء في التلمود: «نحن شعب الله في الارض سخر لنا الحيوان الانساني. هو سخرهم لنا، لأنه يعلم اننا نحتاج الى نوعين من الحيوان؛ نوع أعجم كالدواب والانعام والطيور، ونوع كسائر الامم من أهل الشرق والغرب. ان اليهود من عنصر الله كالولد من عنصر ابيه»؛ وأيضاً «لا تقرض أخاك بربا واقرض اجنبياً بربا ولكن لأخيك لا تقرض بربا لكي يباركك الرب الهك»[٣].

من هذه الخلفية العنصرية، بنت الحركة الصهيونية ايديولوجيتها، واستغلت ـ كما قلنا ـ ظهور حركات عنصرية اوروبية، كالنازية، من أجل ان تثبت مفاهيمها في اوساط اليهود في اوروبا الى جانب الاتفاق الكامل بين الافكار الكولونيالية الاوروبية والفلسفة الصهيونية الاستيطانية العنصرية*. وعند قيام اسرائيل العام ١٩٤٨، أراد زعماء الحركة الصهيونية ان تكون دولتهم «يهودية» مئة بالمئة على اساس «عرقي» من دون الاكتراث بالشعب الفلسطيني، صاحب الوطن الحقيقي، الذي اقام الصهيونيون دولتهم عليه. ومارسوا اعمالاً ارهابية (مجزرة دير ياسين) من اجل بث الخوف في نفوس العرب الفلسطينيين، لكي يتركوا وطنهم، تنفيذاً للفلسفة الصهيونية العنصرية وزعمائها، امثال جابوتينسكي، الذي قال: «سنطرد العرب من فلسطين ونرميهم في الصحراء، لكي نقيم الدولة اليهودية». وبعد قيام اسرائيل، استمر التمييز العنصري الصهيوني ضد العرب في فلسطين، واتبع الصهيونيون، بذلك، تعاليم السياسة العنصرية التي جاءت في الفكر الصهيوني على الاجناس الاخرى غير اليهودية.

الفلسطينيون من الاغلبية الى الاقلية

كانت فلسطين جزءاً من البلاد العربية التي خضعت، في معظمها، للامبراطورية العثمانية حتى العام ١٩١٨، عندما فرض الانتداب البريطاني عليها من اجل تنفيذ المؤامرة الصهيونية ـ الاستعمارية لخلق «وطن قومي» لليهود فيها حسب ما جاء في وعد بلفور. وبلغ عدد سكان فلسطين عندما خضعت البلاد للانتداب البريطاني سبعمئة الف نسمة، منهم ٦٤٤ الف عربي (بنسبة ٩٢ بالمئة) و ٥٦ الف يهودي (بنسبة ٨ بالمئة). وبتشجيع ومساعدة بريطانيا «فتحت ابواب فلسطين

* تأثر الصهيونيون باجواء العنصرية في المانيا قبل مجيء هتلر الى السلطة. واثر النازيون، الذين كان شعارهم «ترتشكه» (اليهود مصيبتنا) على زعماء الحركة الصهيونية، وزعماء اسرائيل، فيما بعد، الذين يمارسون السياسة عينها والاسلوب العنصري الارهابي ضد العرب في فلسطين.